

المملكة الألفيّة

١٤ تشرين الثاني ١٩٩٩

المملكة الألفيّة هي فكرة يعتقد بها اليوم بعض الفرق المبتدعة، ومضمونها - باختصارٍ كليّ - أن الأبرار القائمين من الموت، في نهاية الزمان، سيملكون مع المسيح في مجيئه ثانية على الأرض مدة "ألف سنة"، وذلك قبل القيامة العامّة والدينونة (راجع: رؤيا يوحنا ٢٠: ١-٦).

لا بدّ من القول بدءاً إنّ اليهود عرفوا، في أوضاع ضاغطة (سياسية واجتماعية...)، بعض الأفكار المنحرفة (المملكة الألفيّة، والمناداة بالملك الزمنيّ لإسرائيل...)، وقد وردت هذه الأفكار، عندهم، في الأدب الرويويّ، ولاسيّما في كتاب عزرا الرابع. ويبدو، في نظر المؤرّخ أفسابوس القيصريّ، أن أوّل من انضمّ إلى مذهب "المملكة الألفيّة"

هم الأذفتست السبتيون؟، صفحة ٢٠ و ٢١...). هذا الظهور الجديد حمل معه تفسيرات عديدة جديدة (لم يقلها المسيحيون يوماً) ومتناقضة، ولعلّ أخطرها أنّ هؤلاء المبتدعين اعتبروا أنّ المسيحية فرقة من الفرق اليهودية، فخلطوا بين ما هو يهودي وما هو مسيحي، وبين الدين والأحداث السياسية. ويبدو أنّ بعض مشايخي هذه الفكرة يعتقدون بأنّ العام ألفين هو العام الموافق لتحقيق - أو بدء تحقيق - المملكة الألفية. ولعلّ من الأهميّة بمكان أن نشير إلى ما نشرته جريدة النهار، في مقال بعنوان: "أتباع طائفة ألفية مسيحية أميركية..."، وقد جاء فيه: أنّ أفراداً من أتباع هذه الطائفة، وصلوا إلى القدس، وقد يكونون ميّالين (مع اقتراب السنة ألفين) إلى القيام بانتحار جماعي". وذكرت النهار، نقلاً عن صحيفة نيويورك تايمز، أنّ ٧٥ فرداً من طائفة الكونسيرند كريستشن (مسيحيون قلقون) مع أولادهم قد اختفوا أخيراً من دنفر (كولورادو) وباعوا جميع ممتلكاتهم، وأوضح هؤلاء أنّهم يريدون التوجّه إلى الخارج، على الأرجح إلى إسرائيل، في رفقة زعيمهم مونتي كيم ميللر. ويقول ميللر إنّه سيقتل في شوارع القدس في كانون الأوّل ١٩٩٩، وإنّ هذا الحدث سيعلن نهاية العالم. ويرغب ميللر أن يقيم أتباعه في القدس، لأنّ نهاية العالم، بحسب نظريته، ستحلّ نهاية السنة ١٩٩٩، ووحدهم أتباعه سيحصلون على الخلاص في المدينة المقدّسة" (الثلاثاء، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٨).

ودافع عنه هو متهود يدعى كيرنثوس (أواخر القرن الأول الميلادي)،
 أنكرَ لاهوتَ المسيح ولم يتردد بوعده الأبرارَ بالتمتع بالملذات الجسدية.
 ولا يخفى أن فكرة "المملكة الألفية" قد تسربت إلى المسيحية المبكرة،
 وذلك قبل أن تحدّد الكنيسة، رسمياً، ما يجب على المسيحيين أن
 يعتصموا به في سبيل وحدة الإيمان والعقيدة. ذلك أن بعض الآباء
 القدماء فسّروا ما جاء في رؤيا يوحنا (٢٠: ١ - ٦) تفسيراً مادياً،
 ومنهم: ترتليانوس القرطاجي، وإيريناوس أسقف ليون وهيوليتوس...
 ويعرف المطلعون أن هذا المفهوم الطارئ لم يثبت إلى زمن طويل،
 وذلك أن الكنيسة حاربتَه بشدّة، حتّى تلاشى تماماً، في نهاية القرن
 الرابع، في معظم بلاد الشرق. ولعلّ أول من ساهم في القضاء على هذه
 الفكرة وأثر تأثيراً بالغاً في انتشال الإيمان من لوثة التفسيرات اليهودية،
 هو العلامة أوريجانوس، وذلك بفضل مفهومه الرمزيّ التمثيليّ للكتاب
 المقدّس (اعتبر أن الألفية لا تتحقّق في المجتمع الأرضي ولكن في
 القلب)، وتبعه، في الشرق والغرب، آباء كثيرون.

غير أن فكرة "المملكة الألفية" استيقظت من جديد ابتداءً من القرن
 التاسع، وردّدها، في هذه الأيام الأخيرة، بعض البدع الخطرة (السبتيون
 وشهود يهوه...) وجعلوها من عقائدهم الأساسية (المعتقدات
 الأساسية، ٢٦؛ إيمان الأدفنتست السبتيين، صفحة ٦١٧ - ٦٣٤؛ من

أسمى معانيه. ويعرف أصفياء الله أنّ الربّ الذي قال: "الأرض والسماء تزولان" (متّى ٥ : ١٨)، هو بآنٍ حاضرٍ وآتٍ، وأنّ لقاءهم به، في اليوم الأخير، سيكون معه وفيه، ولن يقطعه يوم أو سنة أو ألف سنة، بل يدوم فرحهم إلى أبد الدهور.

ما من شكّ في أنّ فكرة "المملكة الألفيّة" التي تعزّز المقولة اليهوديّة (المناداة بمملكة أرضيّة) تناقض الوحي الكتابي، نقرأ: "لأنّني هأنذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال" (أشعيا ٦٥: ١٧)؛ "ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك لأنّها ملكوت الله في داخلكم" (لوقا ١٧: ٢١)؛ "أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن مملكتي الآن ليست من هنا" (يوحنا ١٨: ٣٦)؛ كما تناقض عقيدة الكنيسة. ذلك أنّها توحى بوجود قيامتين، واحدة للأبرار في بدء الحكم الألفي والثانية للأشرار في نهايته، وتالياً بتخريب الأرض مرّتين وتعميرها مرّتين... وهذه أفكار مادّية وتخريفات تناقض الحقيقة الخلاصيّة وتسيء إليها (١ تسالونيكي ٤: ١٤-١٧). وما يحدّ من تدبير الله أنّ السبتيين خصوصاً يعلمون أنّ الربّ سينتصر على الشيطان وقيّده في مجيئه ثانية (الصراع العظيم، صفحة ٥٢٩). وهذا يقزّم خلاص الربّ المتجسّد الذي قهر إبليس وملائكته وأطلق عليهم حكمه النهائيّ (لوقا ١٠: ١٩؛ يوحنا ١٢: ١٣، ١٦: ١١).

إنّ كلّ تفسير مادّي للأحداث الإلهيّة التي ستتمّ في المستقبل يشوّه الفكر المسيحيّ الحقّ ومقاصد الله الخلاصيّة، ذلك أنّه ينزع عن "يوم الربّ" الجدّيّة والهالة التي وصفه بها المسيح ويفرّغ القضاء الأخير من